الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم

أ. د. مصطفى إبراهيم المشني
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

تاريخ الاستلام : 2008/11/15 تاريخ القبول : 2009/12/29

الخلاصة:

يتناول هذا البحث الإعجاز البياني في وصايا لقمان، وما ينطوي عليه من قيم، هادفاً إلى توكيد حقيقة تفرد القرآن الكريم بإيجاد الإنسان الصالح النموذج القدوة، من خلال بنائه المحكم المتوازن روحيًّا ونفسيًّا وعقليًّا، وعاطفيًّا، ليكون إنساناً إيجابيًّا في ذاته، فاعلاً في مجتمعه وإنسانيته، منضبطاً بمنظومة من القيم العقدية والدعوية، وأصول العبادة الحقة، متحليًّا بقواعد البر، والسلوك، وفضائل الأخلاق، مستشعرًا الرقابة الإلهية. يأتي ذلك كله تجسيدًا لتربية الحكمة، وحكمة التربية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

إنه غني عن البيان أن القرآن الكريم ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:1] بهر العلماء والفقهاء بما اشتمل عليه من نُظُم وتشريعات، وأعجز الفصحاء والبلغاء بما تضمنَّهُ من نَظْم وتأليف؛ فكان حقيقًا أن يوصف بأنه فوق الطاقة البشرية؛ إنه الرسالة المعجزة، والكتاب المنهج الذي رسم قواعد صلاح البشرية، وأرسى دعائم وجودها وديمومتها، محددًا المسؤولية الفردية والجماعية، موضحًا أبعادها وجوانبها ضمن منظومة من القيم والمُثُل العليا باعتبارها ثوابت الحياة وأصولها المستقرة.

وحري بالبيان ههنا أن القرآن الكريم قد أورد نماذج تعد أمثلة تطبيقية اقتدائية، تترجم مدى أهمية أحقيتها بالاتباع، لتمثلها تلك القواعد والأصول والمثل العليا، نشدانًا لسعادة الإنسان، وتحقيقًا لتطلعاته إلى حياة طيبة وآخرة مأمونة.

ونحن في هذا البحث مع منظومة من تلك القيم والثوابت التي نطقت بها آيات محكمات من سورة لقمان في وصاياه وحِكَمِهِ، تلك التي ترسم صورة واضحة لمقومات الشخصية المؤمنة - النموذج - الفاعلة المتوازنة، المنضبطة بتلك المثل العليا، والقيم العقدية والتربوية... عبر تلك التوجيهات الهادئة والإرشادات الهادفة، المحوطة بالحرص التام النابع من الأبوة المتصفة بالخبرة والحكمة، والمتدفقة بالحنان والعطف والرحمة، إلى البنوّة المتأدبة المتواضعة، الشغوفة لتلقي تلك التوجيهات التي هي منارات هادية في عالم التربية والعلم والسلوك والسعادة الأبدية.

والحق أننا في أمس الحاجة إلى هذه الحكم والوصايا في زمان استحكمت فيه المادة وانقلبت فيه المعايير والموازين، وانشغل الآباء، وتمرد الأبناء.. فلعل هذا البحث ما تتحقق به المُنْيَةُ وإصابة الغرض، ولا سيما أنه لم يكن مسبوقًا بهذا العنوان وفق ما تناهى إليه علمي واطلاعي، على أن ثَمة أمرًا آخر ينضاف إلى ما تقدم دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع وهو أن ما تنطوي عليه هذه الآيات من أصول تربوية وقواعد توجيهية وإرشادات جلية صلاحها للأجيال، بصرف النظر عن الزمان والمكان؛ على اعتبار أنها قرآن اتصف بأعلى طبقات البلاغة والفصاحة والإعجاز.

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسمه إلى: مقدمة، وتمهيد، وستة مطالب، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: اشتملت على مدخل للموضوع وسبب اختياره.

التمهيد: تناولت فيه التعريف بلقمان الحكيم، والحكمة وعلاقتها بالنبوة.

المطلب الأول: مناسبة آيات لقمان (11 - 19) للسورة ذاتها.

المطلب الثاني: نعمة الحكمة والدعوة إلى الوحدانية وتمثلها الآيات (12 - 13).

المطلب الثالث: بر الوالدين وحسن التأسي والاقتداء الآيات (14- 15).

المطلب الرابع: صفة العلم الإلهي وآثارها في السلوك الآية (16).

المطلب الخامس: مراتب العبودية ومقتضياتها.. وآثار ذلك في الدعوة الآية (17).

المطلب السادس: أسس بناء الشخصية وضوابطها الأخلاقية (الآيتان 18 - 19).

الخاتمة.

ومما تحسن الإشارة إليه هنا أنني جعلت قاعدة هذا البحث الإعجاز البياني ومفرداته ودلالاته، بحيث تتأكد حقيقة فردانية المنهج الإلهي وتميزه في إيجاد الإنسان الصالح النموذج لذاته، والفاعل في مجتمعه ومحيطه الإنساني.

وإنني لأرجو الوصول إلى ما أطمح إليه من أهداف، وأثبت ما أنشده من قضايا تُعد حقائق تستوجب الامتثال والاتباع، مستلهمًا الصواب والسداد ممن هو قصدي - جل وعز - ونهاية غايتي.

التمهيد: **لقمان الحكيم والحكمة وعلاقتها بالنبوة**.

ويتضمن مقصدين:
المقصد الأول: التعريف بلقمان الحكيم.
المقصد الثاني: الحكمة وعلاقتها بالنبوة.

المقصد الأول: **التعريف بـ لقمان الحكيم**:

لقد ثار جدل حول شخصية لقمان الحكيم(1)، واختلفوا في تحديده على التعيين، ولست ههنا معنيًا بهذا الخلاف ضرورةً أنّ هذا ليس مدار بحثنا، ولا هو من جوهره، وما دام القرآن الكريم لم يلتفت إلى ذلك كله فالغاية منه مصروف عنها؛ إذ مدار الأمر على ثبوت تلك الشخصية وصدق وجودها، ثم ما اتصفت به من حكمة، وما نطقت به مما هو حقيق أن يكون ثوابت وقيمًا عليا على مر العصور والدهور وللأجيال على تعاقبهم.

تذكر المصادر أن لقمان المذكور في القرآن الكريم هو: « لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر، وهو ابن أخت أيوب عليه السلام أو ابن خالته، وكان قاضيًا زمن داود عليه السلام »(2) وموطنه الحبشة، وقيل: إنه من بلاد النوبة جنوب مصر(3).

وجمهور السلف على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيا(4)، وذكر أنه عرض عليه النبوة والحكمة فأبى النبوة وقبل الحكمة؛ لأنها أسهل، وخير بين الحكم والبلاء... وغير ذلك مما قيل مما لا أصل له، ولم يثبت بسند صحيح، ومما يحسن ذكره أن النبوة إنما هي اصطفاء محض من الله تعالى ومنة منه.

وتجمع الروايات على أن لقمان الحكيم كان على خلق، صالحًا، غاض البصر، كفّ اللسان عفه، وفي العهد، حافظ الجار والودّ، مؤديًا للأمانة، تاركًا ما لا يعنيه، وكان ذا

عبادة وعبارة، وحكمة عظيمة، سكّيتًا طويل التفكر، عميق النظر، إن تكلم تكلم بحكمة، وإن تفكر تفكر بحكمة، وإن تحرك تحرك بحكمة، لا يعيد منطقًا نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد(5).

هذه صفات لقمان الحكيم تشهد له بأنه كان على خلق وحكمة، وإذا كانت هذه شهادة المؤرخين وأصحاب التراجم، فإن شهادة القرآن له بذلك لا تدانيها شهادة بل لا ينهض غيرها عندها، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ لقمان: 12].

المقصد الثاني: التعريف بالحكمة وعلاقتها بالنبوة.

الحكمة في اللغة والاصطلاح:

جاء في المعجمات اللغوية أن الأصل في الحكمة: المنع، وهو مأخوذ من الحكمة - بفتح الحاء والكاف - وهي الحديدة التي توضع في فم الدابة لتمنعها من الجموح، قال ابن فارس: « الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو: المنع، وأول ذلك الحكم وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمَة الدابة؛ لأنها تمنعها، والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل والمحكم: المجرّب المنسوب إلى الحكمة »(6).

وقال ابن منظور: « والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم »(7).

وفي تاج العروس: « والحكمة: العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية، ويقال: هي القوة العقلية العلمية، وقيل: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل، فالحكمة من الله: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفته وفعل الخيرات، وأحكمه منعه من الفساد »(8).

وفي ضوء ما تقدم، فإن معنى الحكمة يدور حول المنع، فهي تمنع صاحبها من الجهل والفساد والسفه والظلم؛ ضرورة أنها القوة العقلية، والعلم والمعارف المتحصلة من التجارب، وأنها إيجاد الأشياء على غاية من الإتقان والإحكام، وهي إصابة الحق وفعل الخيرات والوقاية من الآفات.

وجملة القول: إن الحكمة عمودها العقل، وجوهرها العلم والمعرفة، ومظهرها الصواب في القول والعمل، وهي منّةٌ من الله وفضل، قال الغزالي: « الحكمة فضيلة القوة العقلية، وهي التي بها تتلقى حقائق العلوم الكلية الضرورية والنظرية من الملأ

الأعلى، وهي العلوم اليقينية أزلاً وأبدًا »، وفي موضع آخر: « أما الحكمة فيندرج تحت فضيلتها حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقابة الرأي وصواب الظن » وعند الحديث عن ثمرتها يقول: « وثمرتها أن يتيسّر لها الفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال »(9).

أهمية الحكمة وعلاقتها بالنبوة:

تبدو أهمية الحكمة واضحة جلية كونها صفة جامعة بين العقل والعلم والمعرفة والعمل النافع، وتتجسد فيها صفات الرحمة والأناة، والعَفْوُ والرفق واللين في القول وغير ذلك.

ويكفي الحكمة أهميةً ومَنْزلةً أن الله تعالى سمى نفسه بها ووصف بها ذاته، فهو العزيز الحكيم، وهو العليم الحكيم، أحكم الحاكمين، الحكيم الخبير، الواسع الحكيم...

ثم وصف سبحانه كتابه بهذه الحكمة فقال: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1]، ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾ [آل عمران: 58]، ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ [يس: 1، 2] ثم كانت الحكمة لأنبياء الله جميعهم، قال عزّ وجل: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ [آل عمران: 81]، وفي شأن عيسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [آل عمران: 48]، وفي داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾ [ص: 20] والحكمة هنا النبوة(10).

وهكذا تتضح أهمية الحكمة ومنزلتها من خلال تعريفاتها، ومن خلال ما وصف الله بها ذاته العلية، ثم كتابه وأنبياءه، وعليه فإن الحكمة لازمة للنبوة والرسالة التي تقتضي بالضرورة الدعوة إلى الله بالعقل، والحلم والأناة والرحمة، وحسن التدبير وسلامة التصرف، وسرعة البديهة والتوزان في معالجة الأمور وفق ما تقتضيه المصلحة الدعوية، فالرسالة والنبوة لا تتضمن الحكمة فحسب وإنما هي في أعلى درجاتها وأبعد غاياتها.

ثم إذا كانت الحكمة منّة من الله تعالى وهبة يؤتيها أفضل خلقه وخيرتهم، ويصطفي لها من يَصْنَع على عينه، فإن للأتباع المقتدين نصيبًا وللأخيار منها حظًا ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: 269].

قال ابن كثير: « والصحيح أن الحكمة كما قال الجمهور لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها، وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع »(11).

وفي الختام فإن الحكمة مُنْيَةُ كل عاقل، ومطمح كل فاضل، يُغْبَطُ من حازها ويَسْعد من نالها، قال رسول الله غ : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته بالحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها »(12).

ومن الأخيار الذين أوتوا هذه النعمة والنماذج الذين قضوا بها وعلموها لقمان الحكيم الذي نحن بصدد دراسة حِكَمِهِ التي هي مدار بحثنا وما تنطوي عليه من قيم تترجم مفرداتها وتجسد أبعادها ومظاهرها كما سيأتي ذلك على وجه التفصيل إن شاء الله.

آيات وصايا لقمان الحكيم 12 – 19:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (١٢)
وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ
حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن
تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩)﴾ [لقمان: 12 - 19].

المطلب الأول: مناسبة آيات لقمان لموضوعات السورة:

إن البحث في هذا الموضوع يستدعي التعريف بسورة لقمان وذكر موضوعاتها، والتناسب بينها، لبيان الوحدة الموضوعية التي تنهض بجسم السورة، وتشكل شخصيتها، ومن ثم توكيد حقيقة أن إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه، وأنه على نسق واحد من العلو في البلاغة والفصاحة على اختلاف موضوعاته.

سورة لقمان: مكية بالإجماع، وما استثني من آيات قيل إنها مدنية فمردود بالنقل والعقل(13).

وموضوعاتها: هي موضوعات المكي الذي عني بالعقيدة وموضوعاتها وبخاصة الدعوة إلى الوحدانية.

ولقد سلك القرآن الكريم لبيان هذه القضايا وتوكيدها طرائق وأساليب تنوعت وفق ما تقتضيه ظروف الخطاب وأحوال المخاطبين، وما تستدعيه طبيعة الدعوة من أدلة وبراهين، وسنن كونية وآيات أنفسية، وقصص وأمثال، وحِكَم، وترغيب وترهيب، وغير ذلك مما يدور حول مصلحة الإنسان الذي هو محور الوجود وسيدُه.

إن ما تضمنته السورة من ذلك يمكن تقسيمه إلى مقاطع أربعة(14):

الأول: وتمثله الآيات الإحدى عشرة الأولى (1 - 11) الآيات ﴿الٓمٓ ① تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ②﴾ إلى: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ ويتناول السنن الإلهية الهادية وأعلى مظاهرها التعبدية: الصلاة.. الزكاة.. المنتظمة في سلك الآيات القرآنية، ثم تعرض إلى الأدلة والبراهين على اتصافه تعالى بالفردانية والوحدانية، المنتظمة في سلك الآيات الكونية، مع بيان الفريقين فريق الجنة الذي اهتدى فأطاع وامتثل، وفريق النار الذي ضل وغوى فاستكبر وهوى.

المقطع الثاني: الآيات من الثانية عشرة إلى التاسعة عشرة (12 - 19) من قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ ...﴾ إلى قوله: ﴿...إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾.

وتحدثت عن وصايا لقمان الذي قدّم المثال النموذج، العارف بالله، وحكمه التي مثلت منظومة من الثوابت والقيم والمثل العليا التي ينبغي أن يتصف بها الإنسان الصالح المحقق لسعادته الدنيوية والأخروية.

المقطع الثالث: من الآية عشرين إلى آخر ثمان وعشرين (20 - 28) من قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾ إلى قوله: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ﴾.

وفي هذا المقطع يأتي الحديث عن مقام الإنعام الإلهي على الخلق؛ بتسخير الكون ومكنوزاته، وما أفاض الله على عباده مما يستوجب الإيمان والاستسلام له وشكره وحمده والتمسك بعقيدته، وتطبيق شريعته؛ ضرورة أن له الخلق والأمر، وأن مشيئته في الخلق والإنشاء مطلقة، فلا يُعْيِيه الخلق الجديد أو الإحياء والبعث.

المقطع الرابع: من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ٱلشَّمۡسَ..﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ٱلشَّمۡسَ.. عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ (29 - 34).

لقد عرضت هذه الآيات لنمط آخر من السنن الكونية على وجه التفصيل؛ تمثل في تعاقب الليل والنهار، وحركة الشمس والقمر، وجريان الفلك في البحر، وما يعرض للإنسان من كروب لا يرى النجاة منها إلا بالضراعة إلى الله، واللجوء إليه وحده، مع التخلي عن القوى التي تقف عاجزة أمام تلك القدرة الإلهية، المتفردة بإيجاد السنن، وتنظيمها على غير مثال سبق.

ولدى النظر فيما تقدم كله فأرى أنه يصلح أن يكون مدخلاً حسنًا، وتمهيدًا محمودًا للحديث عن مفاتيح الغيب - خاتمة آيات لقمان - التي لا يتحكم فيها إلا هو جلت قدرته، وهذا بالقطع مدعاة للاعتقاد بمفرداتها على الإجمال والتفصيل.

وفي ضوء وضوح محور السورة وبيان موضوعاتها تتراءى المناسبة بين موضوع آيات حِكَم لقمان وغيرها من موضوعات السورة، حيث كان هذا المقطع يمثلُ دعوة لكل ما تضمنته تلك المقاطع؛ فالدعوة إلى عقيدة الوحدانية في حِكَم لقمان تنهض بها الآيات القرآنية والسنن الكونية، وما رافقها من دلائل على القدرة الإلهية في الإيجاد والتدبير، والإنعام بتسخيره تعالى لما أفاض من آلائه ونعمائه...، وهذه العقيدة تتقدم كل الاعتبارات، وتتفوق عليها حتى لو كانت رابطة الأبوة والبنوة التي تقوم على الدم والنسب.

ثم يأتي المقطع لينسجم تمامًا مع ما قررته تلك المقاطع من اتصافه تعالى بالعلم المطلق والمشيئة المطلقة.

وذلك يستدعي مراقبته تعالى في جميع الأحوال والأحايين، وهذا لا يتأكد إلا بالإيمان، ثم يعمق ويثبت بالعبادات والطاعات والصلاة والصدقة... والتواضع له جل وعز مع الإخلاص والإنابة والتوكل والصبر والتسليم والرضا.

ومقتضى هذه الوصايا تجسيد الإيمان بالغيب وعلى رأسه الإيمان باليوم الآخر والرزق والأجل والقدر خيره وشره.

المطلب الثاني: **نعمة الحكمة والدعوة إلى الوحدانية**:

الآيتان 12 - 13 ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

المقصد الأول: الشكر على نعمة الحكمة:

إن أوجه ما جاء في مناسبة هذه الآية لما قبلها ما حرره الرازي في مفاتيحه، أن الآيات السابقة تحدثت عن دلائل وحدانية الله تعالى في سننه الكونية، وجاءت هذه لتبين أن هذه الوحدانية ثمرة تتحصل بالحكمة التي رأسها العقل وطريقها العلم والنظر(15).

على أن نظرة أولية في الآية القرآنية تفصح عن أنه تعالى امتن على لقمان بالحكمة ورجاحة العقل وإصابة الحق، وكان مقتضى هذه النعمة الشكر للممتنّ بها ابتداءً واختصاصه بالحمد، وأن في هذا خيرًا يعود على صاحبه، لا ينتفع به أحد سواه، ضرورة أن الله غني حميد.

ولقد صُدرت الآية بحرف التحقيق واللام الداخلة عليه؛ لإفادة التوكيد واكتساب الفعل قوة التحقيق والواقع، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ وجاء الفعل بنون العظمة للتفخيم والتعظيم المتناسب مع فخامة الحكيم وحكمته الموصلة إلى فخامة الغاية وهي التوحيد الخالص.

وإيثار التعبير بفعل الإيتاء على الإعطاء؛ لأن الأول أقوى في إثبات مفعوله مع إفادة التملك بالكلية، ودليله ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12] وهذا يوحي دون أدنى ملابسة بأن الحكمة منة من الله وتفضل ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: 269] ثم هو أبلغ من « أوتوا » لأنه يقال فيمن كان منه القبول، ومجيئه بصيغة الماضي للدلالة على التحقق والثبوت.

و « الحكمة » هي عين العقل والصواب والفهم والفطانة، وهي المنطق الذي يتعظ به، ويتنبه به، ويتناقله الناس لذلك(16).

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾ وهذه الجملة تفسيرية؛ فمن موجبات الحكمة التوجه بالشكر على هذه المنّة، ولعل هذا سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وذلك لما فيه ما يقوم عليه مدار الأمر من الشكر والامتنان، وقد تكون « أنْ » مصدرية على تقدير التعليل أي لأنْ تشكر لله(17).

والشكر يكون مقابل إسداء خير، فالله تعالى ينبه على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما، وعبادة الله والشكر له « حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر »(18).

وقد جاءت جملة الشرط ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ لتحقيق التعلق بين مضمون الشرط ومضمون الجزاء؛ فإن الشرط أدل على ذلك من الإخبار(19).

وما أجمل المناسبة بين الجملتين، فهذا خطاب عام بعد خاص، فقوله: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾ خطاب خاص بلقمان، والشرطية قاعدة مقررة وسنة مطردة، ومجيء صيغة الجزاء مطابقة لصيغة شرطها ليتجدد الجزاء ما تجدد الشرط، وسر إظهار الشكر بدل الإضمار لأهميته أولاً ثم للعناية به وأنه ينبغي أن يكرر ثانيًا ثم ليكون الثاني نتيجة وثمرة له.

وفي قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ يلحظ ما يأتي أولاً: الشرطية، ثانيًا: الصيغة.

أما الشرطية فمما يلحظ ها هنا المغايرة بين الشرط وجزائه على خلاف ما كان في الجملة السابقة ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي لم يقل: ومن يكفر فإنما كفره على نفسه، فالمعنى - والله أعلم - ليتناسب مع المعنى القائم في الشرط المعبر عنه بالماضي المقتضي الطرح والتغييب فجاء الجواب ردًا عليه، فكما أن الكافر استغنى بكفره، كان الله غنيًا عنه، بيد أن الله محمود بذاته، لا ينقص الكفر من عظمته وملكوته.

وأما الصيغة فمجيء الفعل بالماضي « كفر » دليل على الاستبعاد والطرح؛ لاستقرار المعنى وثبوته، وفيه إشارة إلى قبح الكفر وتشنيع صورته.

ومجيء الجواب بالاسمية؛ لتقرير غِنَى الله، وأن الكفر لا يضير في غنى الله وحمده؛ فهو المحمود المستحق للحمد بذاته ولو لم يحمده الحامدون، ومن بديع التنزيل في هذه الجملة وسابقتها، الطباق، إذ الأولى تحمل الاعتراف بالنعمة وهذه تتضمن نكرانها والجحود.

وفي الآية توجيه إلى قيمة عليا، وفضيلة أسمى، وهي الشكر، بدأ بالشكر لله ثم للآخرين، فالأول اعتراف لما ينبغي أن يقوم بين العبد وربه من صلة تتمثل في شكر العبد المتصف بالديمومة، ثم ما بين البشر إسهامًا فيما تقوم به حياتهم على أسس من المودة والتراحم والاعتراف بالجميل، وأسوتنا في غرس هذه الفضيلة رسولنا محمد ﷺ الذي كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فتقول له عائشة: «لِمَ تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» فقال: « أفلا أكون عبدًا شكورا »(20).

على أن ثَمةَ ما يلتفت إليه ها هنا وهو أن شكر العبد لربه يقوم على حاجة العبد على الدوام، وانتفاء الحاجة عن الله تعالى بالكلية؛ إذ إنه تعالى مستغن بذاته عن الشكر والحمد من الغير، بينما شكر البشر لبعضهم يقوم على الحاجة المتبادلة.

ومما يؤكد هذا المعنى ما قاله القاسمي في هذا المقام « والشكر مبني على خمس قواعد؛ خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره »(21).

المقصد الثاني: التوحيد والنهي عن الشرك:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

هذه الوصية الأولى من وصايا لقمان جاءت حديثًا بنعمة الله عليه ومنته، ليتراءى أثرها في ابنه الذي هو فلذة كبده وثمرة سعيه؛ حرصًا منه على بناء شخصيته بناء سليمًا صالحًا، محوطًا بمنظومة من القيم تحفظ توازنه العقلي والنفسي والأسري والاجتماعي.

وبالنظر في هذه الآية الكريمة أرى أنها أوضحت كمال النظم القرآني، وأكدت حسن التناسب والتلاؤم الذي هو وجه من الإعجاز القرآني؛ فبعد أن وصفت الآية السابقة لقمان بالحكمة، والحكيم لا تعرف حكمته إلا بأقواله وأفعاله؛ عطف هنا بوصيته لابنه، التي تحمل معالم الحكمة ومفرداتها(22).

لقد افتتحت الآية الكريمة بموعظة حملت أعظم قضية وأخطرها إنها عقيدة التوحيد، عقيدة الرسل جميعًا، ورسالتهم إلى أقوامهم، فما من رسول إلا وأمر قومه بالتوحيد ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: 25] وهذه العقيدة - التوحيد - « تنشئ في القلب والعقل حالة من الانضباط لا تتأرجح معها الصور، ولا تهتز معها القيم ولا يتميع فيها التصور ولا السلوك »(23).

لذلك كله نرى أن أول ما أراد أن يؤسسه لقمان في حياة ابنه هو التوحيد؛ لأنه أصل ثابت يحميه من عوامل الضعف والقلق النفسي، ويربي فيه عوامل الطمأنينة والاستقرار والشعور الإيجابي الفاعل في الحياة، بكل عزة وإباء، ضرورة أن التوحيد هو إفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية والحاكمية والعبودية، فلا يكون عبدًا إلا لله عقيدة ومنهجًا ونظام حياة.

ولقد سلك القرآن الكريم أسلوبًا فريدًا لتثبيت هذه العقيدة في النفس، مختارًا ألفاظًا ونَظْمًا مؤثرًا؛ بغية الاستجابة وسرعة الامتثال.

وما أبلغ هذه الحكمة حين ترد في لفظ الموعظة التي تحمل في طياتها معاني الخير فيما يرق له القلب ويذكر بالعواقب(24).

وهو أرقى أنواع الخطاب؛ إذ خوطب به الأنبياء ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: 46] ومقتضاه الإخلاص في التوجيه، والصدق في النية، والإشفاق، والتلطف في القول... كيف لا وهو ابنه - ها هنا - وهو جزؤه، ثم الحرص على الاتباع والامتثال.

يقول سيد قطب: « وإنها لعظة غير متهمة، فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحًا »(25) بل « يوصي الأب ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف »(26).

وفي لفظ البُنُوة إظهار لعلاقة الأبوة، والبُنُوة لبيان كمال صدق هذه الموعظة فهي مُبَرأة من الخداع والهوى، ومُبَرأة من الجهل؛ لأنها وصيةُ حكيم، وهذا السر في إظهار اسم لقمان بدل إضماره؛ لجمع كل أسباب الحكمة والصدق والقبول في هذه الوصية، فهو لقمان الحكيم ولقمان الأب(27).

ونداؤه بالبعد (يا) للدلالة على بعد مكانته ومنزلته في نفسه، ثم ليحضر بين يديه بكل ملكاته العقلية والنفسية والجسمية؛ لأهَميةِ ما في حيز النداء - ولفظ « بُنَي » إنزال الكبير منزلة الصغير، وقد ألقى بظلال المحبة والشفقة، والحنان والقرب الذي ينطوي على الدعوة الخالصة للسماع والامتثال - نظيره ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات: 102] والتعبير بالاسمية ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ للدلالة على الثبوت والاستقرار المفيد التعهد بمداومة النصح والوعظ، مع تجدد الانشغال بالإرشاد والإصلاح.

وقد سلط النهي ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ على المضارع المقتضي الحدوث والتجدد؛ لإفادة كون النهي خارج حدود الزمان والمكان، قال الزركشي ومن فوائد النهي « تخلّص المضارع للاستقبال »(28) على معنى أنه نهى عن أن يقع الأمر مستقبلاً، وحذف مفعول الفعل (تشرك) لينتظم النهي عموم الشركاء، ثم لقطع التفكير عن ذلك بالكلّية.

وجملة ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ تعليلية للنهي المتقدم حملت في طياتها جملة من المفاهيم والقيم تتمثل فيما يأتي:

أولاً: التقرير بعد النهي - أو خبر بعد إنشاء - فبدأ بالطلب وهو النهي وثنى بالخبر وهو التقرير لبيان دواعيه ومسوغاته، فجاء بالقضية وبرهانها، ثم كان النهي فيما اقتضاه المقام خاصًا بالمخاطب، بينما جاء التقرير عامًا اتصف بأنه قاعدة ثابتة وسنّة مقررة لا تتخلف.

ثانيًا: التصدير بحرف التوكيد « إن » ليحمل هذا التقرير من قوة مضمونه وتوكيد مصداقيته ما يقتضي طرحه والبراءة منه بالكلية.

ثالثًا: إظهار الشرك بدل الإضمار (تشرك، الشرك) للتنبيه على شدة قبحه وبشاعة صورته مما ينبغي تنزه الخواطر عنه.

رابعًا: الشرك ظلم: واعتبار الشرك ظلمًا مع دخول اللام (المزحلقة) المؤكدة لمضمون الخبر فيه أمور أهمها:

- اعتداء على حق الله تعالى وغض منه، وهو المتصف بصفات الكمال وعلى رأسها الوحدانية، فهو المنزه عن الشرك.
- انتقاص من حق النفس واعتراض على فطرتها.
- تعظيم هذا الظلم وتنوع مفرداته وتعدد مظاهره بتنكيره وتنوينه أولاً ثم بوصفه (عظيم) ثانيًا، وقد أكد هذا رسولُ الله غ في الحديث الصحيح(29): « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال ثلاثًا: الإشراك بالله وعقوق الوالدين ».

وهذا المعنى (الشرك) هو المراد من بيانه غ (30) لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: 82].

ومجيء الفاصلة بالاسمية لإفادة الاستقرار والثبوت ثم لتوكيد حسن التعليل لما تقدم من النهي على أكمل وجه.

وفي ضوء ما تقدم كله فقد تقرر أن من واجب الآباء على أبنائهم غرس مبادئ العقيدة في نفوسهم وتأكيدها، وبخاصة عقيدة التوحيد، التي تقوم على توحيد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله؛ وذلك لما تحدثه هذه العقيدة من توازن في شخصية الإنسان

على مستوى أبعاده المتعددة، الروحية والعقلية والنفسية والجسمانية؛ فالوحدانية تعني بالضرورة وحدة التوجه، ووحدة الفكر، ووحدة العبادة، ووحدة التوكل والاستعانة... ثم وحدة الغاية والهدف، وعليه فهي الحصانة من القلق والاضطراب، والوقاية من عوامل الضعف والتردد، والتجاذب والتمزق؛ وبذلك يقوم البناء السليم الإيجابي الفاعل على صعيد الذات والمجتمع والإنسانية.

على أنه ينبغي أن يعلم أن هذه التربية من الأبوين المسلمين ليست مِنةً ولا تفضلاً ولا « أنهما قد تطوعا بشيء، بل واجبهما الطبيعي الذي لا ينتظران من أحد أن ينبههما إليه، فهو البديهية الأولى في حياة الأسرة لا تحتاج إلى تفكير »(31).

المطلب الثالث: بر الوالدين وحسن التأسي والاقتداء:

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: 14-15].

هاتان الآيتان اعتراض يبدو - للوهلة الأولى - أنه خارج على النسق العام للموضوع، بَيْدَ أن المتأملَ في ألفاظ الآيتين ودلالاتها، يجد أنها ما ندت عن الموضوع ولا نأت عن السياق؛ فهذا الاعتراض(32) جاء غاية في البلاغة؛ ضرورة أنه خطاب من عند الله تعالى حمل التفاتًا إلى الأبناء يوصيهم بطاعة الوالدين والبرّ بهما، مع التنبيه على أن هذه الطاعة ليست شرطًا، ولا هي مطلقة في كل أمر، وعليه فقد جاء هذا الخطاب الإلهي غاية في الحكم والإحكام.

ثم إن نظم الآيات ووجه ارتباطها وتناسبها حدد الأولويات في الحقوق والواجبات؛ فقدم حق الله المقتضي توحيده تعالى وتنزيهه عن الشريك، والبر بأحكامه وأوامره، ثم عطف حق الوالدين المقتضي طاعتهما والبر بهما، وما أحسن هذا النظم الذي جاء آيةً في التناسب والرتابة المنطقية إذ صدر الأمر الأول وهو التوحيد وطاعة الله؛ لأنه أصل الوجود، ثم ثنى بالوالدين لأنهما سبب الوجود، ويتجلى هذا في قوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: 36]، مع أن هذا النظم طوى معنى آخر - وما أكثر ما ينطوي عليه - وهو أنه في الآية السابقة أكد حرص الوالد على ولده، وهذه جاءت بجزاء هذا الحرص وبما يقابله ويكافئه.

ومما يحسن ذكره في هذا المقام أن هذه المعاني جاءت في قوالب وأبنية دلت على أن هذا الحديث ليس من عند بشر، بل هو فوق الطاقة البشرية نظمًا وتأليفًا

وموضوعًا، فقوله جل ذكرُه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ تركيب حقيق بالنظر والتحليل من جهتي مادة الفعل وصيغته وإسناده لنون العظمة ثم لفظ الإنسان ومحل الوصية.

أما مادة الفعل « وصينا » فهي تعني الأمر والعهد مع الحرص على الأداء، إذ الوصية تحمل الأمر تحت مظلة روحانية ديانية وعظية، تضفي القوة والتوكيد والحرص التام على إتيان الفعل، مرتبطًا بالثواب والعقاب، بخلاف الأمر الصريح « أمرنا » ويؤكد هذا استعمال القرآن هذا الفعل في أهم القضايا وأعظمها خطرًا فعلى سبيل المثال ليس للحصر قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٣٢ ﴾ [البقرة: 132]، وقوله أيضًا: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: 131]، وفي باب الحقوق واجبة الرعاية: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ [النساء: 11] وغير هذا مما يشهد بصدق هذه الحقيقة.

وأما صيغة الماضي فللدلالة على رسوخ هذه القاعدة، وأنها سُنة ثابتة مستقرة منذ الأزل، صادرة عن المسند إليه المفخم بنون العظمة الذي يستدعي سرعة الامتثال والخضوع والتطبيق الفوري.

ولفظ « الإنسان » دال بعمومه على شمول كل من هو أهل للخطاب من بني البشر، ويدخل فيه المؤمن دخولاً أوليًا، ثم إن البرّ بالوالدين من القيم الضابطة للحياة الإنسانية الحافظة لبقائها وديمومتها في إطار المودة والانسجام.

وإيثار لفظ (بوالديه) على أبويه؛ للتنبيه على المعاناة والمكابدة، وأنهما يتمنيانه ويطلبانه حتى مع المشقة والتضحية والمجاهدة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ٤﴾ [البلد: 4]، وما أبلغ هذا التعبير الذي كان مدخلاً جميلاً وتمهيدًا حسنًا لقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾.

وفي هذا المقام فإنه يحسن بنا أن ننقل كلام سيد قطب على طوله؛ لأنه يبدع في تصوير العلاقة بين الوالد والولد، تصويرًا حيا موحيًا في الأسلوب والغاية.

يقول سيد قطب: « وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن، وفي وصايا رسول الله ﷺ ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً... ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه، فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشئ لضمان امتداد الحياة، كما يريدها الله، وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارها ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، في غير تأفف ولا شكوى، بل في غير انتباه ولا شعور

بما يبذلان ! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان! فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة ! فأما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولّي الذاهب في أدبار الحياة، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة ! وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما »(33).

وحذف مدار الوصية ها هنا أبلغ ويؤكده ما تقدم من الكلام، ثم ليكون عامًا تذهب فيه النفس كل مذهب لا حد له ولا مقدار. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ وتخصيص الأم ها هنا بالحديث لأمور:

أولها: أنها تتحمل النصيب الأوفر وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق.. (34).

ثانيها: أنها هي الأضعف، وبالتالي فهي بحاجة إلى الرفق والإشفاق والعناية والرعاية والطاعة والبر؛ فقوله: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي كلما عظم في بطنها زادها ضعفًا على ضعف، وقيل: ضعفًا متتابعًا، ضعف الحمل، وضعف الطلق وضعف النفاس »(35).

ثالثها: ما ورد عن رسول الله غ حين سئل عن حسن الصحبة وأحقيتها: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: « أُمك » قال: ثم من؟ قال: « أُمك »، قال: ثم من؟ قال: « أُمك »، قال: ثم من؟ قال: « أبوك »(36).

قال القرطبي: « لما خص الله تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب، وللأب واحدة »(37).

رابعها: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ جملة معترضة تعليلية لتوكيد الوصاية؛ لأن تعليل الحكم يفيد توكيده(38).

خامسها: أنّ لها حق الحضانة فهي المربية والمنشئة والمرشدة، ولها القدرة على التحمل والسهر والمصاحبة، وكل ذلك في مرحلة الطفولة وما بعدها.. وصدق الله العظيم: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24] ولا يخفى في الآية توكيد واضح لحقها فيما تقدم.

ولكل ما تقدم وغيره كان تخصيص الأم بالذكر، وفي ضوء ما تقرر لو بذل الإنسان كل ما يملك وقدم لها ما بوسعه أن يقدم، ما أوفاها حقها ولا نصيفه، روى البخاري في الأدب المفرد عن سعيد بن أبي بردة قال سمعت أبي يحدث أنه شهد ابن

عمر رجلا يمانيا يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول إني لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر ثم قال لابن عمر أتراني جزيتها قال لا ولا بزفرة واحدة »(39) أي طلقة عند الوضع.

وفي أجمل ترتيب تختم الآية الكريمة؛ متمثلاً في الشكر لله أولاً؛ فهو المنعم المتفضل بالخلق والإيجاد والإبداع ثم الشكر للوالدين؛ لأنهما السبب في الإيجاد، والولد سعيهما وثمرة غراسهما.

وتوجيه الشكر للوالدين بعد التخصيص بذكر الأم لتوكيد استحقاقهما به واشتراكهما فيه، ثم لدفع توهم تخصيص الأم بالشكر وتفردها به دون الأب.

وما أجمل ربط ما تقدم كله بتلك النهاية التي تمثلها الفاصلة القرآنية ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ففيه من التذكير والوعظ والتحذير ما يكون داعيًا للحمد والشكر، وتقديم الجار والمجرور لإفادة التخصيص وهو ينطوي على تلويح بوعْدٍ ووعيد، وعد بالبشارة لمن شكر ووعيد بالنذارة لمن خالف وتنكر.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان: 15].

هذه تتمة الوصية الأولى التي كانت التفاتًا إلى الأبناء توصيهم بطاعة الوالدين وبرهما، وجعل ذلك من طاعة الله وشكره ثم التأكيد أن هذه الطاعة - طاعة الوالدين - ليست مطلقة كما تقدم وإنما هي طاعة بما يرضي الله تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية الله(40).

وتؤكد الآية أيضًا دون أدنى ملابسة أن رابطة العقيدة فوق كل رابطة حتى لو كانت أشد الروابط وأعزها؛ رابطة الدم، الأبوة والأمومة التي هي سبب في وجود الإنسان - كما سبق - لأن الله تعالى مالك الوجود وموجده وأسبابه حقيقةً.

وإذا كان ذلك كذلك فمهما واصل الوالدان أقصى درجات الضغط المادي والمعنوي بالإغراء والأماني، والإكراه والوعيد، ومهما حاولا استفراغ طاقة التحمل والصبر.. فلا يعد كل ذلك وغيره مبررًا لطاعتهما في الثني عن عقيدة التوحيد، فالشرك بالله جريمة لا تغتفر؟ لأنها اعتداء على الله تعالى في ذاته وصفاته وكل ما يجب له ويستحيل عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: 116].

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم مثلاً في الثبات على عقيدة التوحيد، على الرغم مما واجهوه من عوامل الضغط النفسية والمادية، فجاءت مواقفهم دليلاً صادقًا وبرهانًا يستحق التأسي والاقتداء.

ورد أن الآية الكريمة ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ﴾ نزلت في سعد بن مالك قال: « كنتُ رجلاً بَرا بأمي، فلما أسلمتُ قالت: يا سعد، ما هذا الذي أراك قد أحدثتَ؟ لَتَدَعَن دينَك هذا أو لا آكُلُ ولا أشربُ حتى أموت، فَتُعَير بي، فيقال: « يا قاتل أمّه » فقلت: لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء فمكثت يومًا وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدتْ، فمكثتْ يومًا وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحتْ قد اشتد جهدها، فلما رأيتُ ذلك قلتُ: يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت كلي وإن شئت لا تأكلي، فأكلتْ »(41).

وبالنظر في صيغة التثنية ﴿جَـٰهَدَاكَ﴾ تتراءى دلالة الاتفاق التام بين الوالدين، فهما شريكان في المجاهدة والمدافعة، وأن كلاً منهما مطاوعٌ للآخر في الدعوة إلى الشرك أسلوبًا وغاية، بل إن كل واحد منهما يستقل بوزر الشرك والدعوة إليه وما يسببه ويترتب عليه.

على أنه ينبغي أن يلحظ ها هنا أن النفي في قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يراد به « استمرار نفي العلم لا نفي استمراره، فلا يكون الإشراك إلا تقليدًا »(42) والمعنى انتفاء العلم بالشريك بالكلية؛ لاستحالة العلم باستحقاق غير الله تعالى بألوهية، قال الزمخشري: « لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام »(43) وليس نفي استمرارية العلم؛ لأن مقتضاه الوصول إلى العلم بشريك ولو بعد حين، وهذا مستحيل المراد.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ بيد أن هذه المجاهدة من الأبوين واتفاقهما على الدعوة إلى الشرك ومخالفة العقيدة؛ لا يسقط ذلك حقهما في المصاحبة والمعاملة الطيبة والبر والصلة.

ومن لطيف البيان مجيء لفظي « المصاحبة » و« الدنيا »؛ أما المصاحبة فتقتضي الملازمة وطول المكث، وهذا يعني عدم المقاطعة، والتواصل والرحمة والحلم.. لأن ذلك من شيم المروءة، وأما لفظ « الدنيا » فللدلالة على قربها وقصرها وأنها فانية، لا يأبه إليها إذا ما قيست بالآخرة الباقية الخالدة، التي هي في قوله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑮﴾ فبعد أن بين الله طاعة الوالدين لا تكون إلا فيما يرضيه تعالى، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، مع الاحتفاظ بحق الأبوّة وتعظيمه

في الحياة، بعد هذا، بين من هو الحقيق بالاتباع، الجدير بأن يكون المثال القدوة والنموذج الأسوة.

قال البغوي عند تفسير هذه الآية ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾: «... وهو النبي غ وأصحابه »(44).

وقال الرازي: « واتبع سبيل النبي عليه الصلاة والسلام بعقلك فإنه مربي عقلك كما أن الوالد مربي جسمك »(45).

ويلحظ في لفظ الإنابة الرجوع المتكرر مع الإخلاص في التوجه والعمل(46)، وحرف الجر « إلى » يفيد انتهاء الغاية، والمعنى: أن دين الله - الكتاب والسنة - هو المصدر والمنهج الأوحد، والمرجعية النهائية لكل من ابتغى العزة في الدنيا والفوز في الآخرة، ولا ريب أن أسوتنا في هذا وقدوتنا رسولُ الله غ ثم صحابته رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: 21]، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: 108]، والحق أن من موحيات الآية الكريمة ضرورة اختيار الصحبة؛ لما لها من تأثير في سير حياة الولد، لذلك لا مندوحة أن تأتي هذه في ثنايا وصايا لقمان، ضرورة أنها من درر الحكم، وكنوز المعرفة، ولا شك أن القرآن الكريم والسنة النبوية اشتملا على التوجيهات والإرشادات في وجوب اختيار الصحبة ما فيه الغُنْية؟ لما لذلك من تأثير في اتجاهات الولد وسلوكه وتصرفاته(47).

وفي الختام يأتي تأكيد النهاية ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ أي جميعا، من شكر ومن كفر، من وحدَ ومن أشرك، وتقديم الجار والمجرور لإفادة التخصيص ثم للعناية بهذا الرجوع، وفيه تلويح بالوعد والوعيد أيضًا كما سبق. وجاءت هذه الفاصلة القرآنية ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ انتصابًا للعدالة الإلهية، فكل مرهون بعمله، فيجازي المؤمن المنيب إليه على إيمانه وإنابته، ويجازي المشرك المتنكب على شركه وكفرانه.

المطلب الرابع: صفة العلم الإلهي وآثارها في السلوك:

ويمثل هذا المطلب الآية (16) ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾.

لا ريب أن هذه الآية تمثل الوصية الثالثة من وصايا لقمان وقد جاءت بعد الاعتراض الفاصل بينهما، واللافت للانتباه؛ نظرًا لقوة محتواه، وعظمة مداره وخطورته.

وقد صُدرت هذه الوصية بما صُدرت به الوصية الأولى، بحرف النداء (يا) للبعيد لبيان شرف البنوة، وبعدها في أعماق النفس وعلو رتبتها في نفوس الآباء، مع توكيد ذلك باللفظ الدال على الحنان والعطف (بُنَي) والرأفة، والحرص على الاتباع، والتطلع إلى الاقتداء والتأسي، ولا سيما أن الناصح حكيم لا ينطق إلا بالحكمة.

ثم تأتي هذه الوصية لتقرر صفة من صفات الله تعالى بعد الوحدانية، وهي العِلْمُ، لما لها من آثار على النفس الإنسانية وسلوكياتها؛ ضرورة أنها تستوجب إحضار سجل أعمال الإنسان - الذي هو مرهون به - بناء على علمٍ مطلق دقيق، لا تخفى عليه خافية، وميزانٍ قسطٍ لا يظلم ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: 47].

وفي ضوء هذه الحقيقة التي لا تقبل الجدل فإن علم الله تعالى محيط بكل شيء في الأرض وفي السماء، كُبرَ أم صَغُر، ولو كان مثقال حبةٍ من خردل بل لو كان مثقال ذرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: 5]، ثم الإحاطة بما هو ظاهر وباطن، حتى المخبوء في جسم كثيف صلب أو في الأرض أو في السماء، بل حتى المطوي في مكنونات النفس مما لا يدرك بآلة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه: 5 - 7] والتكنية بالضمير عن الحسنة والسيئة ﴿إِنَّهَآ﴾ للدلالة على العموم، ولتذهب فيه النفس كل مذهب، واتصال ضمير الشأن بحرف التوكيد للدلالة على عظم ما بعده والتشويق لمعرفته، وتوكيد ما في حيزه، وتقرير وصف الله تعالى بالعلم المُطْلَق المحيط بجزئيات الموجودات وكلياتها.

والبدء بالصخرة التي هي غاية في الصغر إذا ما قيست بالأرض للتدرج من الأصغر إلى الأكبر، ومن الأضيق إلى الأوسع، ومما هو في دائرة إدراك البصر إلى ما هو أبعد مما يُحَدّ، ثم للدلالة على عموم الأمكنة في جميع الأزمنة.

والتصدير بالشرطية ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ﴾ لتحمل صفة القوة في التنجيز بعد التوكيد في الإحاطة.

والتعبير بالإتيان ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ﴾ فيه مسألتان: مادة الفعل وصيغته؛ أما مادة الفعل المستعملة في المعاني خاصة ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ﴾ [النحل: 1] وإيثارها على ما يستعمل في الأعيان ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: 20] فلإفادة القطع بالمجيء على وجه الحقيقة والواقع، وهذا غاية في البلاغة.

وأما صيغة الفعل، فالمضارع يفيد التجدد والحدوث.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ اسمية أفادت الثبوت والاستقرار، وقد جاءت مفصولة عما تقدمها ولم تعطف؛ « لأنها كالنتيجة للسابق فهي قاعدة أو مبدأ كلي جيء به بعد فرعية من فروعها »(48).

والفاصلة باللطف والخبرة جاءت متناغمة مع سياقها متناسبةً وموضوعها؛ فقد حملت الدلالة على وصول علمه تعالى إلى كل خفي مهما دقت صنعته وكان مخبوءًا، كما أن الخبرة تقتضي العلم بخفايا الصنعة والاطلاع على أسرارها وخباياها ودقائق خفاياها، وفيه من القدرة على الإتيان ما فيه!!.

وفي ضوء ما تقدم فإنه يتحصل جملة من المثل والقيم والثوابت أهمها:

أولاً: تنمية روح المراقبة الذاتية المرتكزة إلى صفة العلم المطلق التي تستدعي تربية النفس، وضبط تصرفاتها في السر والعلن ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: 7].

ثانيًا: إيجاد ملكة المحاسبة، والمبادأة بالنقد الإيجابي للذات، وهي درجة متقدمة في الإيمان، أقسم الله بالنفس التي تحملها لعظيم شأنها فقال: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: 2].

ثالثًا: بناء الشخصية المتوازنة، المتميزة في إخلاصها وولائها لله تعالى، الملتزمة بكل ما يحفظ من العثار وتجاوز القيم، والتعدي على الأخلاق والثوابت، فاستشعار صفة العلم هو الوقاية للإنسان من الزلل والخطل في توجهاته وسلوكياته.

وفي ظل هذه الموعظة يكون لقمان قد غرس في ولده قيمة المراقبة الذاتية والمحاسبة النفسية، المتولدة من تقوى الله عز وجل ومراقبته في السر والعلن، والحافظة للنفس في جميع أوقاتها وأمكنتها، الفاعلة لكل ما هو خير، المتبعة لكل ما هو إيجابي.

ولعمري فهذه الشخصية الإنسانية المؤمنة، الصالحة، التي نشدها رسولُ الله غ ، وتطلع إلى بنائها وحرص على دوامها وبقائها، ويتجلى هذا في قوله: « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن »(49)، وقوله: « اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »(50).

المطلب الخامس: مراتب العبودية ومقتضياتها.. وآثار ذلك في الدعوة:

ويمثل هذا المطلب الآية رقم (17): ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان: 17].

إنه لمن الغاية في الحقيقة، والنهاية في البيان؛ أن تأتي هذه الوصية، وما ينبني عليها، بعد أهم ركن من أركان العقيدة وهو الإيمان بالله، وبصفاته العلا وعلى رأسها الوحدانية، إنها تجيء بأهم ركن من أركان الدين، وعماده وهو الصلاة، الذي ما جاء الأمر به في هذا المقام إلا ليكون قاعدة أمينة، وأصلاً مكينًا تنهض عليه التكاليف الدعوية، وما تحمله من ابتلاءات تستدعي الطاقة والمقدرة على المداومة والثبات والصبر والتحمل، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة: 153 - 157].

وإذا كانت الصلاة مصدر استمداد الطاقة والقدرة على الثبات والصبر والتضحية؛ فهي ضابط النفس، وحصنه، وداعيه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾ [العنكبوت: 45].

وفي ضوء هذه الحقيقة يكون لقمان قد وصّى ابنه بأهم قضيتين:

الأولى: وتتمثل في أصول العقيدة من الإيمان بالله وصفاته.

والثانية: العمل والتطبيق وفقًا لمقتضيات ذلك الإيمان... (51).

ومن حسن البيان ها هنا أن لقمان الحكيم لا يملّ من أن ينادي ولده بـ ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ وذلك للتوكيد على أنه جزؤه، ولبيان حنوه عليه، وحرصه على وجوده ومستقبله ونهايته، لقد ناداه بهذا النداء في دعوته للوحدانية، وفي دعوته لإيجاد ملكة المراقبة الذاتية استشعارًا منه لصفة العلم والعدل الإلهي، ثم ناداه ها هنا ليملك ذاته وحريته في ظل التعبير الأسمى عن عبوديته لله عز وجل، وليدرك من خلال هذه العبادة غاية وجوده، وضابط تصرفاته، ومعيار قبول أعماله أو ردّها بالكلية فـ « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة بصلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر »(52).

ولإدراك جوانب هذه الوصية ومعرفة مظاهرها وأبعادها لا مندوحة من الوقوف على نظمها الذي يحمل صورًا من الإعجاز البياني يحفظ تدفق معانيها، وديمومة أدائها وتأثيرها.

لقد افتتحت هذه الوصية بالإنشاء؛ نداء وأمر، أما النداء - فبالإضافة إلى ما تقدم ذكره سابقًا - يعني طلب إقبال المنادى ومثوله بين يدي المنادِي، واستحضار جميع ملكاته العقلية والنفسية والحسية، والإصغاء بالكلية؛ لأهمية ما في حيز النداء، وأما الأمر الذي مقتضاه الإتيان على وجه الإلزام والوجوب؛ فلعظمة ما يترتب عليه من قضايا، وخطورته مما يعود على المكلف والمشرع، فللمكلف: طهور وتزكية واستقامة وهداية، ونور وحجة وبرهان..، وللمشرع صدق هذا التشريع وفاعليته، وقدرته التأثيرية في النفس والسلوك والواقع.. وهذا مطلوب من المكلف إثباته، وإلا غدت الصلاة حجة عليه لا حجة له.

ولتحقيق ما تقدم وتوكيده يلفت القرآن الكريم النظر لصيغة الفعل ومادته؛ فصيغة الفعل (قام) على اختلاف تقاليبها ومشتقاتها تعني بالضرورة الأداء على الوجه الأكمل وجوبًا حقيقيًا، لا شكلاً ولا ظاهرًا حتى تؤدي وظيفتها - كما تقدم - فتارة يأتي الفعل (ماضيًا) لإفادة الثبات، وتارة يأتي (بالمضارع) لإفادة تجدد الأمر به والمداومة عليه، واستحضار آثاره، وتارة يأتي باسم الفاعل (مقيم) (قائم) للدلالة على رسوخ الصفة.. وغير ذلك مما يقتضيه المقام.

وأما المادة فهي من « قام » آثرها على غيرها مثل « الأداء » لتحقيق كامل العناية والرعاية بالأركان، والواجبات، والسنن والآداب، لتتحقق غايتها، ويعم أثرها وخيرها فيما يحسن شرعًا وعقلاً، وهذا المعنى مأخوذ من « قامت السوق » - سوق البضاعة - إذا نفدت بضاعتها ولا تنفد بضاعة السوق إلا إذا كانت جيدة مقبولة، وكذا الصلاة فلا تكون مقبولة تؤتي ثمارها إلا إذا جاءت تامة بأركانها وواجباتها وسننها...

أو أن القيام مأخوذ من قولهم: « قامت السوق » - سوق النبات - إذا اعتدلت واستقامت، وكذا الصلاة، لا تقام إلا إذا كانت موضع رعاية وعناية بكل مقتضياتها.

ولا أود ها هنا في هذا المقام - الذي لا يتسع - أن أتوسع في موضوع الصلاة.. لكن يكفي القول إنها ركن الإسلام الأول بعد الشهادتين وهي الفاصل بين المؤمن وغيره - وهي صلة العبد بربه من غير واسطة، ثم هي العبادة العينية المتفردة التي لا تحد بزمان ولا مكان، ولا تسقط عن المكلف بحال(53)، حتى في أحرج الأوقات

وأضيقها - القتال - ومما هو حقيق بالبيان هنا - في هذه الوصية - أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توسط بين الأمر بالصلاة والأمر بالصبر، وما كان ذلك - والله أعلم - إلاّ لبناء القاعدة الموطدة للنفس على تحمل ما يمكن أن يلاقيه الإنسان في سبيل دعوته وغير ذلك من الابتلاءات... وما فرضت الصلاة في « مكة » مع أنها من الأحكام، إلا من أجل الاتصال - بالله - بتلك القوة التي لا تقهر، واستمداد الطاقة القادرة على الثبات والصبر والتحمل في جهاد الدعوة، هذا أولاً.

وثانيًا: توطين للنفس وتهيئة لها بأن طريق الدعوة إلى الله مليئة بالأشواك، محفوفة بالمكاره والمصاعب، وقد يتساقط الشهداء على جنباتها ليشكلوا معالم هادية، وشواخص مضيئة منبهة.

ومما لا ريب فيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثمرة من ثمار العقيدة، وأصل في صلاح الفرد والمجتمع والإنسانية، ضرورة أنه يحيي جذوة الإيمان بالله وصفاته... فينبه كوامن النفس لاستنهاض القيم والمثل العليا والتمسك بالفضائل ومحاسن الأخلاق، ثم يؤكد الابتعاد عن كل مسالك الرذيلة والفساد، فيغدو المجتمع فاضلاً محفوظًا بمنظومة من القيم والمثل والفضائل تحت مظلة العبودية لله وحده، وهذا مما ينبغي أن يكون لسان حال المؤمن ومقاله وديدنه وطبعه، وهذا ما نشده لقمان في ابنه بكل ثقة وإيجابية.

ولقد وُصِفَتْ هذه الأمة بالخيرية وتميزت بها لأنها تفردت بهذه الخصلة على غيرها من الأمم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110].

وغني عن البيان أن الأمر انصب ابتداء على تضمين المفهومات الإيجابية والفضيلة والتمسك بالقيم وبكل ما حض عليه الشرع ووافقه، وهذا أسلوب دعوي يمكن الاستغناء به في كثير من الأحايين عن ضده وهو (النذارة) أو النهي عن المنكر، فتعميق مفاهيم الخير والبر في النفس تكفيها في الإقلاع عن الباطل والشر، إلا إذا احتيج إليه، فجاء الترتيب على أحسن نسق وأبلغه، على حد بشروا ولا تنفروا، والترغيب بالجنة أولى من الترهيب بالنار، ولكل مقام مقال.

وقوله: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ توطين للنفس بأن الحياة لا تسير على نسق واحد؛ فقد يعرض للإنسان ما يشق عليه في نفسه وماله وولده، ومبادئه وقِيَمه، ودل الفعل على الاستقبال لتأكيد استحضاره ووجوده كلما كانت دواعيه ومقتضياته.

وفي قوله: ﴿مَآ أَصَابَكَ﴾ تهوين للمصاب أولاً، وتسلية للنفس بما في ذلك من لطف الإله ورحمته.. على شدته وقسوته، ثم يحمل تنبيهًا على عقيدة القدر التي تعني الرضا والتسليم وعدم الاعتراض أو التبرم على الحكم الإلهي، وهذا فيه ما فيه من الأمن النفسي والأجر، والثواب الأخروي.

وجاءت الفاصلة القرآنية لِتُحْكِمَ هذا الموضوع وتُغْلِقَه على أكمل وجه وأبلغه؛ فعبر بالاسمية لتوكيد ثبات هذه القيمة ورسوخها في النفس؛ ضرورة أنها من مقومات الحياة، وأصول ثوابتها وتوازنها.

واختيرت ألفاظها ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ لأن المقام مقام نصح وتوجيه وإرشاد، بينما جاءت هذه الألفاظ بصيغ أخرى في مقام حصول المكروه وتحققه واقعًا ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: 43].

وتتجلى بلاغة الفاصلة أيضًا في الإسناد المجازي الذي علاقته المفْعُولية أو الفاعلية؛ وكأنه لما كان الصبر في الأمور سجيةً وطبعًا تمثل هذا في الأمور ذاتها وكأنها الفاعل لهذا الصبر.

على أن لفظ (العزم) يشير دون أدنى ملابسة إلى القوة والصبر والتحمل، والهمة والارتقاء إلى مستوى الحدث والمهمة، والتعبير (بالأمور) الذي هو جمع الأمر يشعر بأن هذا يكون في عظائم الأمور وأهوالها وفي أشد النوازل وأصعبها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40]، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، ولعل (من) التي قد تفيد البعضية توحي بالارتقاء بالنفس، والتعالي بها صعدًا إلى أعلى مراتب الصبر ودرجات التحمل - على معنى أن هذا الصبر من التحمل فعلى النفس التطلع إلى ما هو أعلى وأغلى.

المطلب السادس: أسس بناء الشخصية وضوابطها الأخلاقية:

ويمثل هذا المطلب الآيتان رقم (18 - 19): ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: 18 - 19].

هذه آخر آيات وصايا لقمان الحكيم، آخر لبنة في هذا البناء المشيد، الذي أقامه على عقيدة التوحيد التي تقتضي توازن الشخصية واعتدالها، مرورًا بالفاعلية الإيجابية

في البناء الأسري، المتمثل في الإحسان إلى الوالدين والبر بهما، ثم القيام بأسمى مظاهر العبودية لله - الصلاة - الداعي إلى حرية الإرادة، وتحرير النفس من الخضوع والاستسلام إلا لله عز في علاه، ثم تحمل المسؤولية الفردية الممتدة عَبْر المجتمع الذي تنهض تَبِعَةُ هدايته على عاتق الدعاة الذين اتصفوا بما يجعلهم أئمة الهدى وأعلام الهداية، وما يستدعيه هذا من طاقة ومقدرة على التحمل والصبر، وهكذا أرى لقمان الحكيم - ومن خلال آخر آيتين في وصيته لابنه يحكم حلقات ذلك البناء إحكامًا يحمل في طياته ما ينبغي أن يتحلى به من صفات، وما يسلكه من أساليب وطرائق؛ يتطلع إلى تحقيق ما ينشده في ابنه من مسؤوليةٍ دينية واجتماعية وإنسانية.

ولتجسيد تلك المعاني وتحقيقها، وما يكسبها قوة الاتباع والامتثال أرى ضرورة التوقف عند النظم الذي يحمل تلك القضايا وينطوي عليها.

ولعل أظهر ما يقال في المناسبة بين هذه الوصية وما قبلها؛ أنه لما أوصى ابنه بالصبر والتحمل والتسليم بالقدر والرضا بالقضاء عند حلول المصيبة ونزول البلاء، وهذا فيه ما فيه من الانتصار على النفس، ونكران الذات، أردف بالتواضع، وإلانة الجانب، وخفض الجناح، والتجمل بكل ما يحقق هدف الدعوة ولزوم الاقتداء بالداعية، بعيدًا عن التعالي والاستكبار.

وما مجيء الاستعارة في النهي ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ التي هي غاية في البلاغة وحسن البيان؛ إلا تحقيقًا لتلك المعاني، فالتصعير داء يصيب الإبل فتلوي أعناقها، وعليه فالقرآن يربأ بالإنسان المؤمن - فضلاً على أن يكون داعية - أن يكون مريضًا بداء التعالي والكبرياء؛ لأن هذا مدعاة إلى النفور والتجافي والابتعاد، بل عليه أن يتحلى بالرفق واللين، وخفض الجناح، وسعة الصدر والحكمة في القول، وهذه وصية القرآن الكريم للأنبياء، فوصية الله لموسى وهارون تنطق بهذه الحقيقة ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: 43 - 44] ثم هي وصيته تعالى لرسولنا محمد غ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: 159]، وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥﴾ [الشعراء: 215] وتخصيص الخد تحديدًا؛ لأن مصاعرته هي هيئة تنم عن الاستخفاف والاحتقار في غالب الأحيان(54)، ولفظ « الناس » دال على تعلق النهي بعموم الناس من غير تخصيص، وأن هذه الخصلة منهي عنْها بالكلية؛ لقباحتها ورذالتها.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾

هذا نهي آخر، فبعد أن نهى عن التعالي والاستكبار والاستخفاف بالناس، نهى عن الخيلاء والتفاخر، قال ابن كثير: « أي: خيلاء متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك يبغضك الله »(55)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: 37].

وأيا ما كان إعراب « مرحًا » حالاً أم مفعولاً له، فقد انصب النهي عليه؛ لأنه هو الغاية وليس المشي، وعليه فهو تمثيل كنائي عن النهي عن الكبر والتفاخر(56) والمشي مرحًا « حركةٌ كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات، يتنفس في مشية الخيلاء »(57).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورًا﴾ تعليل للنهي السابق وتأكيد له، جاء غاية في المقت والبغض لهذين الصنفين من الناس، كما أن الفاصلة القرآنية جاءت غاية في المطابقة والمناسبة؛ « فالمختال: مقابل للماشي مرحًا، وكذلك الفخور المُصَعر خده كبيرًا »(58).

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

هذه الآية تتمة لمفردات تلك الوصية التي رامت أن تتصف بها الشخصية المؤمنة المتوازنة، المتأدبة بقواعد الآداب والسلوك، والمتحلية بالقيم والمثل العليا، وما تتفرد به حتى في مظهرها وسمتها العام.

لقد تقدم نهيان اقتضيا حسن التعامل مع الناس، والتأدب معهم، والتواضع لهم وإلانة الجانب، وهذا أمر نفسي، ويقابلهما ها هنا أمران اقتضيا التأدب في المظهر العام، في الحركة والسلوك والسير، ولغة الخطاب، وهذا أمر سلوكي، وبذلك يكون لقمان قد نبه ابنه إلى التحلي بالآداب النفسية والسلوكية، وبه يتحقق البناء التربوي في الجوهر والمظهر على أتم وجه من التواؤم والانسجام بين الذات والسلوك.

إن هذا الأدب ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ يتطلب تميز الشخصية المؤمنة والتفرد عن غيرها، بالهدوء، والتؤدة والاعتدال في المشي والتصرف؛ لأن هذا السلوك - في غير تفريط - يضفي على النفس هيبة ووقارًا، وقبولاً، كما أن سرعة المشي - في غير حاجة - تذهب ذلك كله.

وهكذا نرى لقمان الحكيم يرشد ابنه ويوصيه، بأن يتمثل صفات من تميزوا بأحقية انتظامهم في سلك عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وتوكيدًا لما تقدم كله فإن رسولنا محمدًا غ أرشدنا إلى أن نلازم الهُوَيْنَى، والمشي في هدوء ووقار، حتى ونحن في طريقنا إلى القيام بأسمى مظهر تعبدي وأوجبه وهو الصلاة، فقال عليه الصلاة والسلام: « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا »(59).

وقد جاء عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « كان إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع » والمراد بالإسراع ما هو فوق التماوت؛ لأنه رضي الله عنه قال لرجل متماوت: « لا تمت علينا ديننا أماتك الله »(60).

أما الأمر الثاني: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ يعني خفض الصوت عند الحديث، ويمثل أدب الكلام - ولكل مقام مقال - والتحدث بصوت مسموع معتدل، موضح للمراد من غير تكلف وفي غير حِدة ولا أنفة، وهذا أدب عام أمر الله تعالى به أصحاب رسول الله غ والمؤمنين عامة التأدب بين يدي رسول الله غ وعدم رفع الصوت والتواضع فيه أمام حضرته، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ [الحجرات: 2].

والتوسط في الكلام وعدم الجهر به ورفعه مطلوب حتى في الصلاة التي هي أسمى عبادة، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ ﴾ [الإسراء: 110] ولأثر الكلام وتأثيره كان هذا التوجه العام، ذلك لأن خفض الكلام والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس وارتقاء بها، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، ورفع الصوت أثناء الحديث - في غير حاجة - ضعف وسوء أدب وتغطية على كثير من المغالطات والفشل(61)، فضلاً على أن هذا الأسلوب يتنافى مع الذوق العام.

ومن لطيف البيان ها هنا ما يؤكد هذه الحقائق:

فأولاً: التعدية بالظرفية في المشي، لإفادة تحقق الوقوع، والممارسة والتطبيق، وأن يكون ذلك سَمْتًا عامًا، والتعدية بـ « من » في الصوت، والتي تفيد البعضية، لاستحالة خفضه وإخفائه بالكلية، ولزوم الرفع أحيانًا، فقد يحتاج إلى الجهر، فقد جاء

في الحديث: « كان رسول الله غ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش... »(62).

ثانيًا: الجمع بين المشي والصوت، وذلك لأنهما وسائل الإنسان وأدواته لتحصيل مطاوبه(63).

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾

وفي هذا النص القرآني من جمال التعبير وحسن البيان، وما ينطوي عليه من قيم؛ مما هو حقيق بالتوقف والنظر - ويظهر فيما يأتي - الفصل بكمال الانقطاع، الاستعارة بالتشبيه، وتوكيد الصورة، واختيار الألفاظ وصيغها:

الأول: الفصل بكمال الانقطاع، فالجملة الأولى إنشائية ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ وهذه خبرية، وفصل هنا بغية الالتفات إلى أمر هام والتنبيه عليه، وهو ما يترتب على ما تقدم من التشبيه مما يحمله من الصورة المنفرة الموحشة التي يترفع عنها كل عاقل.

الثاني: الاستعارة، شبه رفع الصوت في غير ما حاجة، بصوت الحمار، وبلاغة الاستعارة تمثيل الصوت بالنهاق الذي أوله زفير وآخره شهيق، وفيه من التحقير والازدراء ما فيه(64)، فضلاً على التنفير منه وتحاشيه.

وفي هذا التشبيه إشارة إلى أن الصوت العالي من غير مقتضٍ يتنافى مع الذوق والحس والأدب العام.

ثالثًا: جاء توكيد هذه الصورة الموحشة المنفرة المنهي عنها، بالاسمية ثم باللام المزحلقة.

رابعًا: والسؤال الذي ينهض ها هنا، لماذا كان التشبيه بصوت الحمار من بين الحيوانات الأخرى؟ ولماذا أفرد الصوت وجمع الحمار؟ ثم ما معنى أن يأتي لفظ « أنكر » على صيغة أفعل؟.

أما التشبيه بصوت الحمار؟ فمبالغة في الذم والتهجين، وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه، وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان؛ فالحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه، وقد عُد في مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة(65).

وأما توحيد « الصوت » وجمع « الحمار » فيجيب عنه الزمخشري أيضًا بقوله: « ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع، وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده »(66).

وأما مجيء اللفظ « أنكر » على وزن « أفعل » ففيه معنى لطيف على حد قول الرازي: « وهو أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو غير ذلك، والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح، ولو قتل لا يصيح، وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق، فصوته منكور »(67).

هذا ولشدة نكارة صوت الحمار أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نتعوذ بالله من الشيطان إذا سمعنا صوت الحمار فقال: « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطانًا »(68).

وفي رواية « إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمار من الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها ترى ما لا ترون »(69).

وفي ضوء ما تقدم فإن هذه الآيات التي تمثل هذه الوصية تعليم وتربية وتأديب في الظاهر والباطن في النفس والسلوك وفي المشي والمظهر العام... وفي النطق وأدب الكلام.

الخاتمة:

وبعد: فهذه جولة في رياض آيات وصايا لقمان الحكيم من سورة لقمان تَنَسَّمْتُ عبير أزهارها، وعبق أزاهيرها، ولم تقطف يداي ثمراتها؛ لتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

لقد أبصرت غناها بالحكم والمثل والقيم، وثراءها بالدرر والفوائد والفرائد، بأسلوب بياني أخاذ، حمل في طياته معاني ومرامي أبانت عن تطلع الأب الحاني والوالد الحريص إلى بناء شخصية ولده بما يحفظ ذاته في كل أبعادها بتوازن وإيجابية، وأن يكون معلمًا منيرًا دائم الهداية، معطاءً، حسن الأسوة والاقتداء.

وفي ضوء هذه الحقيقة التي تتجسد في هذه الوصايا أرى أن أسجّل النقاط الآتية:

- إن القرآن الكريم هو أعلى طبقات البلاغة، وهو الحكمة، مصدرها ومنبعها، ومعجم أئمة حكمائها - الأنبياء والصالحين - وهو الهادي إلى معالم الحكم والآمر بالتأسي بالحكماء، والالتزام بحكمهم.

- قدمت الآيات الكريمة - وصايا لقمان - تعريفًا بالمثال النموذج العارف بالله، الخبير المجرّب، الذي نال الحكمة بصلاحه وإخلاصه، وتمثلت في أفعاله وأقواله، فكان حقيقًا بما يؤهله لنصح غيره بالحكمة، والعمل بمقتضاها، وقد تجسدت فيه الحكمة القائلة:

أدب النفس واستكمل جوانبها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

« أدب نفسك قبل أن تؤدب غيرك »

- مثلت الحكم التي تضمنتها وصايا لقمان منظومة من الثوابت والقيم؛ الهادفة لبناء الإنسان الصالح والموصولة لسعادته في حياته وآخرته.

- ارتقت هذه الوصايا ببناء عقيدة التوحيد أولاً، التي هي عين الحكمة؛ فهي قاعدة الشخصية المتوازنة في أبعادها الروح، العقل، العاطفة، الجسد، وأصل وحدة الفكر والاتجاه والسلوك.

- رَتبَتْ الأولويات في النصح والإرشاد، فبعد الأمر بعقيدة التوحيد في الذات والصفات... انتقلت إلى العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك والدعوة، ثم الإحسان إلى الوالدين؛ ضرورة أن الله واجب الوجود وموجد كل موجود، ثم الوالدين؛ لأنهما سبب الوجود، مع التركيز على البر بالوالدة لما لها من عظيم الفضل، وما تحملته من معاناة في المراحل المختلفة حملاً وطفولةً ويفاعة وشبابًا.. وطول المكابدة والمصابرة.

- كشفت الوصايا عن وجوب قيام العلاقة الحميمة بين الأب وولده، ومدى حرصه على سعادة ابنه ولا سيما أنه امتداد له، كل ذلك في ظلال الصفات المتمثلة في الحنان والشفقة والعطف والرحمة، يا بني...

- حسن التأسي والاقتداء بالتزام المنهج الصحيح قولاً وعملاً، واتباع الأصلح والأتقى ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ متمثلاً ذلك في رسول الله غ ابتداءً، ثم في

الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين بإحسان، ثم اختيار الصحبة الصالحة والرفقة الطيبة لما لها من تأثير في النفس والميول والسلوك والاتجاهات.

- إيجاد ملكة الرقابة الإلهية، والمحاسبة الذاتية، المستوحاة من صفة العلم الإلهي ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ مع تزكية النفس اللوامة، التي تستدعي ضبط النفس، وتجملها بالقيم والمثل، وامتداد آثارها الإيجابية في المجتمع والإنسانية.

- بيان أرقى مراتب العبودية لله والأمر بها ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ وآثار ذلك في الدعوة إلى الله، وما تقتضيه من عزم وإرادة، وما تستدعيه من طاقة وقدره على التحمل والصبر، مع التسليم بقدر الله وقضائه، والرضا من غير تبرم، وفي هذا من تربية الإرادة والقوة ما يكفل النهوض بمسؤولية الدعوة وتبعاتها.

- ضرورة الالتزام بتحصين النفس بكل ما يحفظها في جوهرها ومظهرها في الحركة والسلوك وفي الهيئة العامة، ثم في الحديث ودواعي الكلام ومسوغات الإفهام.

- مجيء الفواصل القرآنية غاية في البلاغة بربط مقاصد الآيات ومعانيها وما تنهض به من وصايا وإرشادات بعللها، والمقدمات بنتائجها فكانت آية في حسن البيان والإحكام:

▪ يا بني لا تشرك بالله..	إن الشرك لظلم عظيم
▪ إن تك مثقال حبة..	إن الله لطيف خبير
▪ أقم الصلاة.. واصبر على ما أصابك	إن ذلك من عزم الأمور
▪ ولا تصعر خدك..	إن الله لا يحب كل مختار فخور
▪ واقصد في مشيك...	إن أنكر الأصوات لصوت الحمير

- التنوع في أساليب التربية بين التوجيه المباشر، بالطلب: لا تشرك، أقم، وأمر بالمعروف. وضرب المثل: إنها إن تك مثقال حبة. والاستعارة والكناية، ولا تصعر خدك، ولا تمش... مَرَحًا. والتشبيه: إن أنكر الأصوات لصوت الحمير.

- ترابط الموضوع وانسجام فقراته المختلفة، ثم مناسبة الحكم لبعضها على اعتبار أنها وحدة متكاملة لبناء شخصية متكاملة، تَبِينُ مدى ارتقاء الولد بارتقاء والده به، وأن كل ما يصبو إليه وينشده تراءى في تربية الحكمة وحكمة التربية.

هوامش البحث:

(1) ينظر: محمد خير رمضان، لقمان الحيكم، ص 57 فما بعدها.

(2) البغوي، معالم التنزيل 238/4، الزمخشري، الكشاف 10/5، ابن كثير، البداية والنهاية 96/2، 97، الألوسي، روح المعاني 82/11.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية 96/2، 97.

(4) البغوي، معالم التنزيل 238/4.

(5) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية 96/2 فما بعدها، حقي، روح البيان 48/3، محمد خير رمضان، لقمان الحكيم 84 فما بعدها.

(6) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 91/2.

(7) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حكم) 140/2.

(8) الزبيدي، تاج العروس، مادة (حكم) 161/16.

(9) الغزالي، ميزان العمل، ص 67، 99، 107.

(10) البغوي، معالم التنزيل 219/1، الزمخشري، الكشاف 476/1.

(11) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 644/1.

(12) الحديث: رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه، كتاب الزكاة، باب: إنفاق المال في حقه، رقم (1343) 510/2.

(13) الآيتان هما: الآية (4) ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾ والآية (27) ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧﴾. ينظر: الألوسي، روح المعاني 98/12، د. عباس، إتقان البرهان 391/1.

(14) التقسيم على هذا النسق مستفاد من: قطب/ في ظلال القرآن 2782/5 – 2783.

(15) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب 118/9.

(16) الراغب الأصفهاني، المفردات ص 61.

(17) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط 181/7، ينظر تعريفات الحكمة في التمهيد من هذا البحث.

(18) ينظر: الزمخشري، الكشاف 11/5، ابن عطية، المحرر الوجيز 491/11.

(19) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 152/21.

(20) الحديث: رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، كتاب التفسير، باب: « ليغفر لك الله » رقم 4836، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 558/9.

(21) القاسمي، محاسن التأويل 197/13، وينظر: رمضان يوسف، لقمان الحكيم ص 144.

(22) ينظر: البقاعي، نظم الدرر 13/6.

(23) سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ص 201.

(24) ينظر: الراغب، المفردات ص 876، والمعجم الوسيط ص 1043.

(25) سيد قطب، الظلال 2788/5.

(26) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 600/3.

(27) ينظر: حنان لحام، أضواء على سورة لقمان ص 47.

(28) الزركشي، البرهان 381/4.

(29) رواه البخاري في صحيحه عن أبي بكرة عن أبيه رقم (5976) كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 9/12.

(30) ينظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » لما نزلت « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » قال أصحابه غ : وأينا لم يظلم ؟ فنزلت « إن الشرك لظلم عظيم » 9/ 180.

(31) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام ص 13.

(32) هذا الكلام لله تعالى وليس للقمان، وقيل: قاله عز وجل له، وكأنه قيل: قلنا له « اشكر » وقلنا له: « ووصينا الإنسان » والمعنى وأمرنا الإنسان برعاية والديه. ينظر: الألوسي، روح المعاني 84/11.

(33) سيد قطب، الظلال 2788/5.

(34) المصدر السابق.

(35) الألوسي، روح المعاني 84/11.

(36) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة، كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، حديث رقم 5971 فتح الباري بشرح صحيح البخاري 4/12.

(37) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 14/ 64 والمرتبة الأولى مرتبة الأمومة.

(38) الزجاج، معاني القرآن 196/4.

(39) أخرجه البخاري في الأدب المفرد صفحة 18.

(40) حديث « لا طاعة لمخلوق في معصية الله » أخرجه مسلم عن علي باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية جزء 2/ 1469

(41) البغوي، معالم التنزيل - تفسير سورة العنكبوت آية 8 - 214/4.

(42) الألوسي، روح المعاني 84/11.

(43) الزمخشري، الكشاف 11/5.

(44) البغوي، معالم التنزيل 239/4.

(45) الرازي، مفاتيح الغيب 120/9.

(46) الراغب، المفردات ص 827.

(47) ينظر: النابلسي، نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية ص 113 فما بعدها.

(48) ابن عاشور، التحرير والتنوير 164/21.

(49) الحديث: أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي ذر، رقم الحديث (21412)، مسند الإمام أحمد 183/5.

(50) الحديث: أخرجه الحافظ ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، عن زيد بن أرقم رقم الحديث 176، كتاب الزهد، باب: ما قالوا في البكاء من خشية الله، 319/8.

(51) الرازي، مفاتيح الغيب 121/9.

(52) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه عن حديث بن قبيصة عن أبي هريرة، المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي رقم (411)، باب: ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد 382/2.

(53) هناك حالات استثنائية نادرة معروفة ذكرت في كتب الفقه.

(54) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 122/9.

(55) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 603/3.

(56) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 167/21.

(57) سيد قطب، الظلال 2790/5.

(58) الزمخشري، الكشاف 16/5.

(59) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة برقم 636 كتاب الأذان، باب: لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار، فتح الباري بشرح البخاري 328/2.

(60) ينظر: الألوسي، روح المعاني وهامشه 90/11 دار الفكر، بيروت.

(61) ينظر: قطب، في ظلال القرآن 2790/5.

(62) الحديث: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله برقم (867)، كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، الإمام مسلم، الجامع الصحيح 592/2.

(63) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب 123/9.

(64) ينظر: الألوسي، روح المعاني 90/11.

(65) ينظر: الزمخشري، الكشاف 18/5.

(66) المصدر السابق بنفس الجزء والصفحة.

(67) الرازي، مفاتيح الغيب 123/9 فما بعدها.

(68) الحديث: رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رقم 3127، كتاب: بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، البخاري الجامع الصحيح 1202/3.

(69) الحديث: رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله، رقم 14293، الإمام أحمد، المسند 375/3.

المصادر والمراجع:

1 - الأصفهاني: العلامة الراغب الأصفهاني 425 هـ، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان داودي، ط 2 - 1418/ 1997، دار القلم - دمشق، ط 3 نفس الدار - 2002.

2 - الألوسي: شهاب الدين السيد محمود الألوسي 1270 هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية - بيروت.

3 - البخاري:

- الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، شرح وضبط وفهرسة: د. مصطفى البغا، ط 5 - 1414/ 1999، دار ابن كثير - دمشق.
- الأدب المفرد، ط 3/ 1989م/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ دار البشائر الإسلامية بيروت.

4 - البزار: الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، ت (292) البحر الزخار، المسند، تحقيق: عادل ابن سعد، ط 1 - 1424/ 2003 مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

5 - البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (510 هـ)، معالم التنزيل، ط 1، 1422/ 2002، دار الفكر - بيروت.

6 - ابن أبي شيبة: الحافظ عبد الله بن محمد (ت 235 هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، توثيق وتعليق سعيد اللحام، ط 1414/ 1994، دار الفكر - بيروت.

7 - ابن حجر: الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، (ت 852 هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 1416/ 1996، دار الفكر - بيروت.

8 - ابن حنبل: الإمام أحمد (ت 241 هـ)، المسند، ط 1، 1413/ 1993، دار الكتب العلمية - بيروت.

9 - ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس.

10 - ابن عطية: عبد الحق غالب الأندلسي (ت 546 هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: الرحالي الفاروقي ورفقاؤه، ط 1401/ 1981 - قطر.

11 - أبو حيان: محمد بن يوسف الغرناطي (ت 754 هـ)، البحر المحيط، ط دار الفكر - بيروت، وطبعة 1/ 2001، دار الكتب العلمية - بيروت.

12 - خان: صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، مطبعة العاصمة - القاهرة.

13 - الرازي: فخر الدين ضياء الدين عمر (ت 606 هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

14 - الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794 هـ)، البرهان في علوم القرآن، ط/ 2001، دار الكتب العلمية - بيروت.

15 - الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر (ت 583 هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود ورفيقه، ط 1 - 1418/ 1998 مكتبة العبيكان - الرياض.

16 - الزيات: أحمد حسن الزيات ورفقاؤه، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية - تركيا.

17 - الطبراني: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360 هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط 2 - 1406/ 1985م.

18 - عباس: أ. د. فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ط 1، 1997، دار الفرقان - عمان.

19 - قطب: سيد،

- في ظلال القرآن، ط 1394/ 1974، دار الشروق - بيروت.
- خصائص التصور الإسلامي، ط 14، 1997م، دار الشروق - بيروت، القاهرة.

20 - قطب: محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، ط 4، 1415/ 1995، دار الشروق - بيروت.

21 - لحام: حنان لحام، أضواء من سورة لقمان، ط 1، 1983 م، دار الثقافة للجميع - دمشق.

22 - المبارك فوري: الحافظ أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت 1353 هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط 1، 2001، دار الكتب العلمية - بيروت.

23 - مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261 هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي 1413/ 1992م، دار الكتب العلمية - بيروت/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

24 - نابلسي: محمد مصطفى، نظرات في وصية لقمان، ط 1، 1415/ 1994 م، دار الفرقان - عمان.

25 - يوسف: محمد خير رمضان، لقمان الحكيم وحكمه، ط 2، 1415هـ/ 1994م، دار القلم - دمشق.

* * *

Eloquence Inimitability in Verses of Luqman's Advices and What is Involve of Values

Prof. Mustafa Ibrahim AlMashni
College of Shari'a and Islamic Studies, University of Sharjah
Sharjah, U.A.E.

ABSTRACT

This research investigates the eloquence and inimitability in the verses of Luqman's commandments to identify values unique to the Quran concerning exemplary human qualities (i.e. spiritual, mental, rational, and emotional). Such qualities allow humans to achieve self-esteem, become active in society, adhere to the practice and foundation of true worship and dawa', observe the rules of benevolence, good behaviour and morality, and be conscious of divine presence. All of these qualities are fundamental to good education.